موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

كيف تدعو إلى الله

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلّغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، فصلواتُ الله وسلامه علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آل نبينا محمد، وعلىٰ أزواج نبينا محمد وعلىٰ صحابته، وعلىٰ من تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد، فموضوع هٰذا الدرس **كيف تدعو إلىٰ الله؟**

وسبب اختيار هذا الموضوع ما هو معلوم من أن الدعوة إلىٰ الله جل وعلا مهمّة عظيمة، وأن كلَّ من رغِب في الخير واستقام علىٰ الإسلام فإنه يروم أن يهديَ غيره؛ لأنّ في ذلك الفضل الجزيل، وفي ذلك العائدة العظمىٰ عليه وعلىٰ غيره، وأعظم عائدةٍ علىٰ المستقيم علىٰ الصراط أن يكون له مثل أجور من هداهم إلىٰ الله جل وعلا، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ أنه قال: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا يَنْقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه لا ينقص من أوزارهم شيئا**» وقد قال عليه الصلاة والسلام لعليّ حين بعثه إلىٰ خيبر «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمُر النعم**» يعني من الإبل الحمراء الغالية عند أهلها، فإن الدعوة إلىٰ الله جل وعلا؛ وأن يهدي الله علىٰ يديك واحدا من الناس رجلا أو امرأة، صغيرا أو كبيرا فإن في ذلك الفضل العظيم عليك؛ ولأن تعطىٰ كذا وكذا من الأموال الجزيلة في هذا الزمن ليس بأفضل لك من أن يُهدىٰ علىٰ يديك رجل واحد.

لكن كما نرىٰ أن كثيرين يريدون أن يدعوا، كثيرين يريدون أن يهدوا الناس، لكن سبيلُ ذلك لا تكون ماثلةً أمام أعينهم، ربما جربوا تَجْرُبات ليست بالمستقيمة، ربما حاولوا محاولات لم تكن مؤصلة لم تكن عن تجربة، لم تكن عن استرشاد بمن جرّب فنجح.

فلهذا تكون خطاهم متعثّرة، وهؤلاء ربما فعلوا أشياء ودعوا، وكان في دعوتهم من الخطأ ما حجز آخرين عن قبول الحق والهدىٰ؛ لأن خطأ الداعية ليس كخطأ غيره.

ولهذا أمر الله جل وعلا الأنبياء جميعا بالصبر وأن لا يستخفَّهم الذين لا يؤمنون، كما قال جل وعلا: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم]، ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[الأحقاف:٣٥]، فإن الدعوة أساسُها الحكمة، أساسها الأناة، أساسها أن يكون العبد سائرا علىٰ ما أمر الله جل وعلا به، وما نهىٰ، فيما يأتي ويذر في أمر الناس.

وإذا كان كذلك فإنّ دعوته يُرجىٰ أن تُؤتي ثمارها ولو بعد حين.

الدعوة إلىٰ الله جل وعلا مطلبٌ للجميع؛ مطلب من حيث العمل، ومطلب من حيث الغاية؛ لأن الغاية؛ غاية المجتمع المسلم أن يكون مستسلما لله جل وعلا، منقادا له في الظاهر ومنقادا له في الباطن أيضا.

وهذه الغاية ينبغي للأفراد أن يسعوا في تحقيقها، وللمجتمعات أن تسعىٰ في تحقيقها، وكذلك لدولة الإسلام أن تسعىٰ إلىٰ تحقيقها، فإنّ تعبيد الناس لله جل وعلا هو الغاية من خلقِهم، فإذا أدرك الناس ذلك فاستقاموا عليه، فذلك فضل، و إلا فإن الناس يدعو بعضهم بعضا ويُرشد بعضهم بعضا، لهذا كانت هذه المحاضرة أو كان هذا الدرس؛ **كيف تدعو إلىٰ الله جل وعلا؟** كان مُهِمًّا في إعطاء بعض النقاط، وليس بشمول ما يتصل بهذه المسألة؛ لأنها طويلة الذيول، لكن بما يفتح آفاقا لدىٰ الذي يحب أن يكون هاديا للناس سائرا علىٰ الحق علىٰ صراط سوي.

المتأمل اليوم في أحوال الناس يجد أن الدعوة علىٰ أنواع:

☜ منها **دعوة فردية** ونعني بالدعوة الفردية أن يكون الفرد يدعو فردا آخر، أو أن يكون أفرادا يدعون أفرادا.

☜ ومنها **دعوة جماعية**، والدعوة الجماعية أيضا من حيث الواقع منقسمة إلىٰ قسمين:

- منهم من يدعو جماعيا علىٰ أساس التعاون علىٰ البر والتقوىٰ؛ ويتعاونون ويجتمعون علىٰ أن يهدوا الناس، يُرتّبون أمرهم؛ كيف دعوة هٰذا ومصداقية في نجاح التأثير عليه أو التأثير علىٰ هذه الأسرة أو نحو ذلك..
- وهناك قسم آخر من الدعوة الجماعية وهي الدعوة الجماعية المنظّمة التي تكون عن تنظيم بتجسيد المهمات ويكون هناك قيادة وهناك فروع لهذا التنظيم.

وهذه التقسيمات من جهة الوجود، أما من حيث مشروعية كل قسم وتفاصيل الكلام عليه فسنعرض له إن شاء الله تعالىٰ في مكان آخر من هٰذه الدروس.

الذي يهمُّنا من هذا التقسيم في هذا الدرس هو القسم الأول وهو الدعوة الفردية التي يمكن أن يعمل بها المرء بمفرده، كيف يمكن أن تكون أنت داعية إلىٰ الله جل وعلا؟ كيف يمكن أن تهدي الناس؟ كيف تمشي في هٰذا الطريق دون عقبات ودون أن تتردد فيه وتؤثر علىٰ الناس ويُقبَل منك ذلك؟

إذا تأمّلت الواقع الذي تعيشه هذه البلاد، بل وواقع الأمة الإسلامية بعامة وجدتَ أن الخير ينتشر يوما بعد يوم من جهة اهتداء الناس إلىٰ الإسلام ومحبتهم إلىٰ الالتزام به، ورغبتهم في تعاليمه، وإقبالهم علىٰ الخير.

لا شك أن الناس يزدادون إقبالا يوما بعد يوم. فإلىٰ أي شيء يُعزىٰ هذا الانتشار العظيم؟

هل هو نتيجة للدعوة الجماعية التنظيمية؟ لاشك فإن الذي يقول إنه نتيجة لذلك أنه مغالي وليس له في الواقع نصيب.

هل هو نتيجة لدعوة جماعية فيها تعاون علىٰ البر والتقوىٰ؟ أيضا يعني دعوة جماعية مرتّبة ليس فيها تنظيم وقيادة إلىٰ غير ذلك، يعني ليس لها صفة الحزبية، أيضا هذا فيه بعد.

ولكن الواقع أن أكثر الأسباب ظهورًا إلىٰ انتشار الإسلام، وفي زيادة الصحوة، وإقبال الناس رجالا ونساء علىٰ الخير وعلىٰ الهدىٰ، هو نشاط الأفراد؛ هذا ينشط في عمله، وهذا ينشط في أسرته، وهذا ينشط في حيِّه، وهذا الإمام ينشط مع جماعته، إلىٰ آخره، فأكثرها نشاطات فردية، وهذه النشاطات الفردية لا شك تستفيد مما يجري حولها بأنواع من الاستفادة منها ما هو جيد ومنها ما هو ليس بجيد، منها ما هو منضبط ومنها ما ليس بمنضبط، إلىٰ آخر ذلك..

المهم أن سبب انتشار الخير كان هو الدعوة الفردية؛ دعوة الناس بعضهم بعضا بدون مؤثرات عظيمة؛ مؤثرات جماعية، وإنما هذا يُرغّب في الخير فأثّر في أسرته، هذا يُرغّب في الخير فأثَّر في عمله، تجد أنه قرأ كلمة طيبة فنشرها إلىٰ آخر ذلك..

فهذا الترتيب وهو أن من أكبر أسباب انتشار الصحوة وزيادة الخير هو جهد الأفراد، هو الذي نريد أن يعلُق بالأذهان حتىٰ لا يظن الظان أنه لا يمكن أن يدعو حتىٰ يكون معه أناس، وحتىٰ يكون معه من يساعده، وحتىٰ يكون هناك من يرتِّبه، وهذا أمر لا بد منه، لأنه إذا شعر بأنه يمكن أن يعمل بمفرده، يمكن أن يدعو بمفرده، لاشك أنه إذا كان هناك معه غيره يدعون بما فيه تعاون علىٰ البر والتقوىٰ، تُؤتِي الدعوة ثمرات أكثر في قطاعات كبيرة؛ لكن إذا كان يشعر أنه إذا عمل بمفرده فإنه سينتج ولا يحتاج إلىٰ غيره في أمر الدعوة فإنه يشجّعه ذلك، وهذا الذي ينبغي أن يقرّ في الأذهان بادئ ذي بدء قبل الدّخول في هذا الموضوع الذي نعرض أطرافا منه.

إذن فمهمتك **أيها المسلم** هي أن تحمل أولا همَّ هذه الدعوة، أن تحمل أولا همَّ مصلحتك؛ لأنك إذا دعوت فإنك لا تدعو لأجل أن تكون المصلحة لغيرك، أن تدعو لأجل أن تكون المصلحة لك، لأنك إذا دعوت أحدا إلىٰ الله جل وعلا فاستقام وعمل شيئا من الخير فلك مثل أجره، فتزداد حسناتك بسبب هداية الناس إلىٰ الحق والهدىٰ، هذا الترغيب الذي يجعلك تُقدم، لابد له من ضوابط، لابد أن تعرف ما فيه من محاذير، لابد أن تعرف ما له من أحكام، وهذا هو الذي سنطرقه إن شاء الله فيما نستقبل من الكلام.

الداعية المفرد الذي يدعو بنفسه أولا لابد أن يكون نبيها ذكيًّا من جهة حال المدعوين؛ بل أقول قبل ذلك.

أولا: لابد أن يكون في دعوته **متجرِّدًا مخلصا لله جل وعلا**، يعني له رغب في قلبه أن يجعل الناس مطيعين لله جل وعلا، ليس له رغب في الدنيا، ليس له رغب في الجاه، ليس له رغب في السمعة، ليس له رغب في السيطرة، ليس له رغب في أن يكون متعاليًا علىٰ الناس، مما هي من أنواع الأخلاقيات التي قد تعرض علىٰ بعض القلوب التي تدعو إلىٰ الله.

المهم؛ الأول أن يكون مخلصا لله متذللا مطيعا، ترغب أن تهدي الخلق إلىٰ الله جل وعلا، لا أن تهديهم إلىٰ غيره، وهذا الشرط جاء في قول الله جل وعلا: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨]، في هذه الآية أمر الله جل وعلا نبيَّه أن يقول: هذه سبيلي؛ قل يا محمد للناس جميعا وللكفار بوجه الخصوص ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾،

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في مسائل «كتاب التوحيد» في قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ التنبيه علىٰ الإخلاص.

وهذا أمر مهمّ مطلوب دائما أن يكون في قلبك العمل لله جل وعلا.

ثم قال: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ والبصيرة للقلب كالبصر للعين، البصيرة هي العلم الواضح الذي يكون معه صورة الأشياء العلمية، صورة الأشياء العملية أمام الخلق في وضوح، كما تكون الأشياء المبصَرة بالعين أمام العين في وضوح إذا توجه النظر إليها.

﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فذكر شرط الإخلاص وذكر شرط البصيرة والعلم مما سيأتي بيانه.

هذا الشرط معروف ولابد أن يتوطَّن قلبك أن تكون مخلصا لستَ مسيطرا، لستَ طالبا ذا سمعة، وهذا من الأخلاقيات المهمة، والدعائم المهمة للداعية، لم؟ لأن بعض الناس قد يأتي يدعو يرىٰ الذي أمامه عنده مخالفات، عنده بلاء عظيم، حتىٰ ولو كان الشرك والبدعة أو ما هو أقل من ذلك من كبائر الذنوب، أو تفريط في الفرائض أو الصغائر، قد ينظر إلىٰ أنه متعالي عليه، فيأتي فيدعو من جهة التعالي، من جهة الاستعلاء، فيكون أمره ونهيه ليس صادرا من قلب مخلص تمام الإخلاص، وإنما فيه شيء من الاستعلاء وهذا يفسد القبول.

فإذن عندنا الأمر الأول المهم هو أن تكون مخلصا وفهمتَ معنىٰ الإخلاص:

- أولا: أن لا تدعو إلىٰ غير الله؛ يعني لا تحبب الناس في غير الله، وإنما تريد أن يطيع الناس رَّبهم جل وعلا وحده.

- الثاني: أن تكون غير متعالي علىٰ الناس؛ يعني أن تكون أنت وهم بمنزلة واحدة ليس معناه أنه عاصي معنىٰ أنَّك خير منه، لا تدري لمن تكون الخاتمة السعيدة، ولكن تكون أنت مقبلا في أن يكون هذا مقبلا علىٰ الله جل وعلا وأنت مخلص في أن يكون مهتديا إلىٰ الله جل وعلا.

هذا الخُلق الأول **الإخلاص** مهم بل شرط من الشرائط وواجب من الواجبات، وإذا قيل: خُلق أو أدب في عُرف أهل العلم لا يعني أن يكون مستحَبًّا، فقد يكون واجبا قد يكون شرطا قد يكون مستحبا.

☜ **ثانيا**: أن يكون **ذكيًّا، حصيفًا، نبيهًا**، لأن حالة المدعو كثيرا ما تحتاج إلىٰ تنبُّه، وهذا يأتينا في الأسباب يعني في دراسة حال المدعوّين، ينبغي أن يكون الداعية ذكي ونبيه وحصيف؛ يعني يعرف كيف يدعو، كيف يرتِّب النتائج علىٰ المقدمات، كيف يعرف الطريق الأحسن للدخول لذلك.

والذكاء هنا ليس أمرا فطريا فحسب، بل يكون أيضا بالتجرُبة، يكون بالتدرج، لهذا من خالط، من جرّب الدعوة اكتسب شيئا من الخبرة في معرفة كيف يكون الذكاء والحصافة والرأي في التعامل مع الناس.

☜ **الأمر الثالث من أخلاق الداعية: أن يكون الداعية محبًّا لبذل الخير راغبًا في هداية الناس** عن طريق بذل ما عنده، وأن لا يحقر شيئًا من الخير، يبذل جميع ما عنده، جميع قدراته التي يمكنه أن يبذلها،

يبذلها؛ إن كان شيئا من المال يستطيع بذله، أو من الجاه يستطيع بذله، شيء من الحركة والعمل، من الخدمة، من طلاقة اللسان، من بذل بعض الأمور التي يكون لها أثر، هذه مطلوبة من الداعية، يعني أن يبذل ما عنده، وهذه قد قال فيها عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئا، ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق**» لا تحقرن من المعروف شيئا، هذه كلمة عظيمة، «لا تحقرنَّ من المعروف شيئا» لأنك ربما حقرت شيئا من المعروف ولو بسمة واحدة حقرتها لكن أثرها لن تراه أنت ربما يراه غيرك؛ بانفتاح صدر هذا المدعو في قبوله ما عند صاحب الخير.

أما إذا لقي الداعية أو الذي يرغب في هداية الناس للخير، لقي الناس وهو مكفهرّ الوجه أو وهو غير متقدم لهم بنفس طيبة؛ يحقر المعروف يحقر الخير، فهذا لا شك يشكل شيئا من الحواجز أمامه، لهذا علىٰ الداعية أن يوطِّن نفسه أن يكون باذلا؛ إذا أردت أن تتحرك بالدعوة فابذلْ، تُوَطِّن نفسَكَ علىٰ أن تبذل، إذا كنت شحيحا لست بذي جود فلا تصلح للدعوة.

الداعية يصلح له أن يكون جوادا؛ يعني أن يكون باذلا للخير غير شحيح، والشحّ ليس في المال فحسب، الشح يكون في اللفظ، في الحركة، يكون في بذل المعروف، في أشياء كثيرة، ومنها المال، وقد قال جل وعلا: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

ووصف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكره في كتاب «**مدارج السالكين**» في منزلة الجود ذكر شيخ الإسلام وقال:لم أرَ في العلم أجود من شيخ الإسلام ابن تيمية، ذلك أنه يأتي السائل فيسأله عن مسألة، فيجيب عن أكثر منها، وهذا ربما أُنتقد عليه، ولكن هذا من الجود بالعلم؛ لأن مثل ذلك مثل من سئِل عن الطريق إلىٰ مكة فوصف للسائل طريق مكة وطرق المدينة وطريق كذا وطريق كذا إلىٰ آخره.. وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ حينما سئل عن التوضؤ بماء البحر قال: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»جواب السؤال «**الطهور ماؤه**» أما «**الحل ميتته**» فهذا زيادة في الجواب من الجود الذي ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

إذن في أخلاق الداعية لابد أن تُوطّن نفسك علىٰ أن تكون جوادا؛ جوادا في بيتك، جوادا في عملك، جوادا في السوق، جُود الطبيب وهو يمارس مهنته، جُود التاجر وهو يمارس مهنته، جُود القريب وهو يتعامل مع أقربائه، إلىٰ آخره؛ يعني جُود هؤلاء وكونهم يكونون من أهل الجود، هذا من المهم في كل نِطاق لأن الجود سبب لانفتاح القلوب والناس يحبون من أحسن إليهم:

أحسن إلىٰ الناس تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وهذا واقع، إذن هذه الخصلة لابد أن توطّن نفسَك عليها، تكون جوادا ولو لم تكن كذلك في الداخل جرِّب نفسك؛ أن تكون جوادا بالكلمة، جوادا بالبشاشة، جوادا بالبذل.

مثلا من الأمثلة –وهذا سيأتي تطبيق له فيما نهدف إن شاء الله– مثلا رجل في بيته يشكو من وضع والده، يشكو من وضع ولده، يشكو من وضع إخوانه –مثلا– ويشكو، ويشكو، وهو إذا تعامل معهم في

(١) سورة الحشر، الآية٩، سورة التغابن، الآية ١٦.

الدعوة يتعامل معهم من جهة الأمر والنهي، لكن لو خالط زملاءه، لو خالط أصحابه، وجد أنه معهم بشخصية أخرىٰ غير الشخصية التي يتعامل بها مع أهل بيته، هذا الانفصام سببه أنه جواد مع أولئك بالكلمة، بالبذل، بالأخذ، فأثر فيمن أثر، وثبَّت من ثبَّت بتوفيق الله جل وعلا، أما في بيته فهو إنما هو آمر ناهي، والناس ليست مجبولة علىٰ من يحب أن يتسلط عليها؛ من يأمر وينهىٰ، وإنما مجبولة علىٰ حب أن يقدّم لها، من يحسن إليها.

إذن في البيت الجود لو جرّبته له أثره العظيم فجرّب مع أخيك الصغير، مع أخيك الكبير، مع والدك، مع ابنك، مع بنتك، مع أختك، مع قريبك، جرِّب هذا ستجد أن له أثرا وإن كان هذا الأثر ربما يكون بعد مدة لكنه أثر، وأوّل درجات الدعوة انفتاح قلب المدعو إلىٰ الداعية؛ قلب من تريد أن تؤثر عليه أن ينفتح قلبه لك، ويحب الكلمة التي يسمعها منك، ويقتنع بالكلام الذي تقوله، ولو عشرة في المائة، عشرين في المائة، خمسين في المائة، في البداية. هذا خير عظيم، الأمور لا تصل إليها علىٰ خطوة واحدة، ومن الأسباب المهمة ما ذكرته لك وهو الجود، فلا تحقر هذا السبب، فقد قال لك عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرنّ من المعروف شيئا**» أيّ شيء من المعروف لا تحقره «**ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق**» بل إن ذلك فيه تنبيه علىٰ أن تلقىٰ أخاك دائما بوجه طلق كما قال في الحديث الآخر «**وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة**».

☚ من الأخلاق المهمّة للداعية **أن يكون واسع الأفق**، يعني محلِّلًا لما يجري حوله؛ يعني أحيانا يكون الأثر الذي يؤثر في المدعو سلبا، أو يؤثر في المدعو إيجابًا، يكون هذا أثر غير مَرَضي يكون فيه أشياء في جوانب حياة هٰذا المدعو خاصة من لا تعاشره دائما، فهذا كيف تؤثر عليه؟ لا بد أن يكون عندك رؤية متّسعة للمؤثرات التي تؤثر علىٰ هذا المدعو، وهذه الرؤية المتسعة ستستنتج منها الأسباب التي تصدّ هذا المدعو عن قبول الخير، وستستنتج منها الأسباب التي تجعل هذا المدعو يُقبل علىٰ الخير، يعني هناك أشياء تجعل هذا يقبل لأن كل إنسان له عواطفه، له محبته وخاصة إذا كان مسلما فإنه عنده من الخير ما عنده، لكن ربما غطّىٰ عليه كثير من الرَّان المنتشر في الناس، ولأسباب أخرىٰ تارة تكون من نفسه والشيطان، وتارة تكون ممن حوله من الشياطين الذين يصدون الناس عن الحق، هذا لابد أن يكون عند الداعية استيعاب لما حوله.

ثم إذا استوعب كانت رؤيته غير محدودة، بل رؤيته متسعة بعد ذلك يدرس هذه الأسباب، ويحاول أن يأتي ويحصّل الإيجابيات وأن يبتعد عن السلبيات.

ولهذا جاء مبدأ المشاورة والتطاوع في الدعوة، يعني أحيانا يكون الإنسان لا يدرك الأشياء بنفسه خاصة من تحليل نفسيات المدعوين، لهذا قال عليه الصلاة والسلام لمن أرسلهما إلىٰ اليمن «**تطاوعا ولا تختلفا وبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا**».

☚ أيضا من المهمات في أخلاق الداعية: أن يكون **معتنيًا بشيء من العلم المتصل بالدَّعوة**، وأنّه يعلم أن الدعوة إلىٰ الله جل وعلا مراتبها كبيرة جدا، هناك من الدعوة ما لا يصلح إلا للعلماء، هناك من الموضوعات ما لا يصلح أن يدعو إليه من العلماء، هناك من الموضوعات ما يصلح أن يدعو إليه كل

مسلم؛ لأن كل مسلم معه من اليقين والعلم بأشياء من الحق ما ينبغي له أو إذا دعا فهو عنده من العلم في تلك الأشياء ما يجعله يدعو إليها.

العلم ذكرنا دليله في قوله جل وعلا: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨] والبصيرة هي العلم؛ والعلم مهم -وكما قلنا- درجات.

ولهذا أهل العلم يقولون: لا يجوز لأحد أن يدعو حتىٰ يعلم ما يدعو إليه، أما إذا كان جاهلا بالحكم، جاهلا بما يدعو إليه، فكيف يدعو إلىٰ شيء وهو يجهل حكمه؟ لكن إذا دعا إلىٰ تحبيب الناس في الخير، إلىٰ تحبيب الناس في الاستقامة، في الصلاة، في الطاعة، في مؤاخاة الصالحين.. إلىٰ آخره. هذه أمور يشترك في معرفتها وفي العلم بها جميع المسلمين.

العلم لابد منه فيما تدعو إليه، إذا أردت أن تدعو إلىٰ مسألة ليست من الواضحات، فلا يجوز لك أن تتكلم فيها إلا بعد أن تكون عالما بها علىٰ ما قاله أهل العلم.

☚أيضا من الأخلاق المهمة أو من الآداب المهمة للداعية التي تكون من خلقه وشخصيته: **أن يكون مرتِّبًا للأولويات** وهذا ما يُسمىٰ بتقديم الأهم علىٰ المهم، أو ما يسميه بعض المعاصرين بفقه الأولويات -وهذا صحيح- تقديم الأوْلىٰ علىٰ ما هو دونه، هذا مهم، تقديم الأهم علىٰ المهم، هذا أصل شرعي، كما قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلىٰ أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم..**» قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مسائل «كتاب التوحيد»: فيه البداءة بالأهم علىٰ المهم. نعم الأهم يُبدأ به قبل المهم، لابد أن يكون عندك معرفة بالأولويات ما المهم؟ بعض الناس ممكن أن يبدأ بالدعوة بفرعيات يعني بمستحبَّات ويترك الأصول، هذا ما بدأ بالأهم وترك المهم، بل بدأ بما هو من المستحبَّات وترك ربما الواجبات والفرائض، لابد أن يكون الداعية متمرِّسًا في معرفة الأولىٰ فالأولىٰ، هل الأولىٰ فالأولىٰ في جميع الناس واحد؟ لا، في جميع المجتمعات واحد؟ لا، المجتمعات تختلف وكذلك الأفراد يختلفون، بل البيوت تختلف، فهناك أولويات في بيت ليست هي الأولويات في البيت الآخر، بل نفس الداعية عنده أولويات في بيته للدعوة، وينتقل قلبه إذا اتجه إلىٰ عمله إلىٰ أولويات أخر، وينتقل قلبه إذا خالط أصحابا له في أولويات أخر، فيكون عنده من فقه الأولويات ما يجعله إذا تكلم في كل مجلس يظن الظان أنه متناقض؛ يتكلم هنا بكلام وهناك بكلام، والواقع أنه من فقهه؛ جعل الأولويات التي يتكلم بها مع أهله غير الأولويات التي يتكلم بها مع أصحابه، غير الأولويات التي يتكلم بها مع العامة وهكذا.

فإذن من فقه الداعية ومن الأخلاق التي لابد له أن تكون معه أن يكون عنده ترتيب للمهمات، ترتيب للأولويات، وهذا يتطلب أن يكون معه الأشياء السابقة وهي أن يكون ذكيا فطنا واسعا حتىٰ يمكن أن يعرف ما هي الأولويات المتصلة بهذا الفرد، بهذه الأسرة، بهذا البيت، إلىٰ آخره.

فإذا رتبت هذه الأولويات عرفت كيف تبدأ، وأما إذا لم ترتب ربما أتيت من قبيل الغيرة، وأمرت ونهيت وأقمت الدنيا وأقعدتها، لكن هل أثرت في القلوب؟ الجواب: لا. ربما المرء يحترم في بيته، قد يحترمه أولاده، قد يحترمه إخوانه، لكن المهم أن يحترموه وبعد الاحترام أن يطيعوه، وأن يقتنعوا بالحق

الذي معه، وهذا ليس مهمة الآمر الناهي فقط. بل مهمته أن يكون مع أمره ونهيه دعوة بشرائطها ومتطلباتها.

أيضا من الأخلاقيات المهمة في الداعية: أن يكون **متخلِّصا عن حظِّ نفسه**، دائما يكون باغٍ لحق الآخرين بعيدا عن أداء حق نفسه، وهذا نبينا ﷺ ربما أتىٰ إليه الأعرابي وجذبه من وراء ظهره بقوة من ردائِه، والنبي عليه الصلاة والسلام يجيبه إجابة سمحة، وربما قام عليه الرجل فتكلم عليه، وقام عليه بسيفه، فأجابه بإجابة يكون فيها البَر والطمأنينة له، فيه أحاديث معلومة ليس هذا محل ذكرِها.

المقصود من هٰذا أن الداعية يجب عليه أن يكون متخلصا، يعني وأنت في دعوتك تكون متخلصا عن نفسك يعني هذه النفس التي بين جنبيك احترامها، قوتها، إلىٰ آخره هذه اجعلها تنزل مرتبة أو مرتبتين أو ثلاث؛ لم؟ لأن الناس خاصة إذا تعاملوا مع من يدعوهم إذا رأوا أنه يتسلط ولو بكلمة فيها شيء من القوة والغلظة فهم لا يقبلوها ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩] وهو النبي عليه الصلاة والسلام، وهم صحابته الكرام عليهم رضوان الله، هكذا الناس، الناس مجبولون علىٰ أنهم لا يقبلون الذي يخالف ما هم عليه؛ إذا تأمره بشيء يخالف رغبته لا يقبل ذلك، فمتىٰ يكون لك حظ عند المدعوين؟ إذا تخلَّصت من رغبات نفسك، وهذا يظهر عند اللقاء، عند النقاش؛ فإذا أمرت أو دعوت فتكلَّم عليك ربما والدك، ربما ابنك، ربما أخوك، ربما أختك، وهكذا ربما يتكلم عليك، فهل معنىٰ ذلك تظهر لك العزة وأنت تتمثل مقام الدعوة؟ لا، بل يظهر عندك مقام الداعية رحْب الصدر الذي يمكن أن يناقش، يمكن أن يتكلم في كل مسألة، وإذا ضاق به الأمر وأُحرج؛ لأنه ربما يكون المدعو يُحرج الداعية بأشياء، لأنه هو مضطرب فيها، أو لا يكون عنده إلمام بها.. إلىٰ أشباه ذلك، يعتذر.. دون خطأ، لكن يرتب المهمات لأن المهم إذا وصلتَ إليه يعني الأَوْلىٰ الأهم إذا وصلت إليه فإنه متفَق عليه؛ المحافظة مثلا علىٰ الصلوات، التزام المرأة مثلا بحجابها، بسترها، بقلة خروجها.. إلىٰ آخره، التزام الرجل بآدابه، عدم مخالطة الأشرار إلىٰ غير ذلك، هذه الأشياء تكون متفق عليها، وإنما يأتي الكلام في خلافيات معينة.

فالانتصار للرأي يَحْرِم الدعوة، فلهذا علىٰ الداعية أن يكون واسع الصدر، أن يكون متخلصا عن نفسه، وعن الانتصار لنفسه؛ يعني لا بأس أن يقول: أخطأتُ ولا بأس أن يقول: معك الصواب، وألا يرتفع لأنه إذا رفع نفسه علىٰ غيره فإنه لن يقبل الداعية ندًّا، لا بد أن يكون جاعلا نفسه أقل من غيره وهو يخاطب الآخرين؛ إذا جعل نفسه ندًّا لغيره أو متعاليا فإنه في الغالب يكون كلامه محترمًا، لكن لا يكون محل قناعة وقبول.

القسم الثاني هو الميدان:

كيف تبدأ العمل؟ كيف تدعو عمليّا في بيتك؟ كيف تدعو عمليّا في مكتبك؟ كيف تدعو عمليّا في مؤسسة، في الشركة؟ كيف تدعو عمليّا في المتجر؟ كيف تدعو عمليّا في قريتك إذا رجعت إليها، أو إذا سافرت إلىٰ أي مكان في الطائرة ؟... إلىٰ آخره.

هذا المجال الذي هو المجال الميداني لا شك أنه من المصاعب، ويحتاج إلىٰ تجربة، لكن هو سهل ميسور إذا أخذته بتسهيل.

الأول البيت: البيت مركّب من رجل وامرأة كبير أو صغير، الأطفال ليس هذا محل بيان كيف يؤدبون وكيف تتكلم معهم لكن مع الكبار.

البيت يحتاج منك إلىٰ أن تنظر في هذا البيت، في ما فيه من الخير الذي يَرْغَب فيه أهل البيت وما فيه من الشر الذي يقع فيه بعض أهل البيت وأنت لا ترض عنه، -كل بيت من بيوت المسلمين فيه أشياء من الخير وفيه أشياء من الشر-.

النظر إلىٰ الخيرات لابد أن يكون مع النظر إلىٰ الشرور والمنكرات، لم؟ لأن تلك قَبِلُوها وهذه قَبِلُوها، فأنتَ تريد أن يقبلوا منك زيادة في الخيرات التي يمارسونها، وأن يقبَلوا منك التخفيف من الشرور والمنكرات التي يمارسونها، فإذن في نظرك إلىٰ البيت حلّل أولا الإيجابيات والسلبيات -كما يقال-، حلّل الخيرات، وحلّل المنكرات.

فانظر إلىٰ أسباب حدوث الخير وأسباب حدوث الشر، فترىٰ تارات كثيرة أن أسباب حدوث الخيرات هو الإيمان الكامل في نفوسهم، الرغبة الصادقة في أهل البيت في الدار الآخرة وفي الخير، هذه تحتاج منك إلىٰ تنمية؛ تنميتها بأمور تغرس الإيمان في القلب، وأهمّ ذلك أن يُوَطَّن أهل البيت علىٰ محبة القرآن والذِّكر، هذه أدْخِلْها إلىٰ البيت، ولو بقراءات بينك وبينهم في فترة وجيزة من فترات الزمن يعني خمس دقائق، عشر دقائق، يجتمع الجميع علىٰ قراءة كتاب الله و الاستماع له وحفظ آية أو نحو ذلك هذا شيء يشترك فيه الجميع لحُسنه، وأظنّ خمس دقائق أو عشر دقائق ليس ثَم من يعارض فيها.

مسألة الصلاة فيما يوجد مثلا عند النساء، النساء تجد أنهنَّ في البيت وهنّ مغفولٌ عنهنّ تجد أنهم يصلين لكن الصلاة عند كثيرات منهن بدون خشوع، يعني كثير من النساء ينقر الصلاة نقرًا، فهذه انظر لها وحاول أن تعالجها بالطريقة الملائمة، بأن تقول مثلا هذه الفتوىٰ لأهل العلم وهذه الأحاديث الواردة في ذلك، الصلاة زيدي فيها تسبيحة، زيدي فيها تسبيحتين، ونحو ذلك، لا يصح نقر الصلاة وبخطاب مودود بين المتكلم والمخاطب.

إذا نظرتَ مثلا إلىٰ الجهة الأخرىٰ التي قد يعتني بها كثير من الدعاة، أو من الذين يهتمون بإصلاح البيوت جهة المنكرات الموجودة في البيوت؛ المنكرات درجات فهناك منكرات كبيرة عظيمة، وهناك منكرات وسط، وهناك منكرات أخص، والجميع يشترك في أنه منكر ومحرم، فترتيب النّظر في هذه مهم، يعني مثلا هناك بيت أهله من الرجال لا يحضرون الصلوات وتجد عندهم -مثلا- بلاء؛ فيه دخان يعني شُرب الدخان أو رؤية المنكرات، عندهم أجهزة لرؤية النساء والمحرمات ونحو ذلك، أو عندهم ممارسات لأشياء محرمة في البيت؛ علاقات أو اتصالات أو غير ذلك، فكيف تُرِّتب وضع هذا البيت، بحيث يهيئ لك الانتقال إلىٰ المرحلة الأخرىٰ.

إذا أتيت إلىٰ الشيء الذي هم أكثر تعلقا به وكان هو الأخص فتركتَ الكلام فيه ربما قبِلوا، وهذا جُرِّبَ وَوُجِدَ في بيوت كثيرة له نجاح؛ يعني هناك شيء يتعلقون به مثل وجود التلفاز في البيوت والتعلق

به، و هم عندهم مخالفات أكبر من ذلك، فإذا أتىٰ كلام الداعية في هذا ليلا نهارا رجع هناك بحواجز بينه وبينهم، لكن إذا سكت عنه كما سكت العلماء عن أشياء، وكما أمر النبي ﷺ بأن يُؤمر أولئك بالصلاة قبل الزكاة، فإذا سكتَّ عنه ونظرت إلىٰ المصيبة الأكبر أو المنكر الأكبر الموجود فجهدت في إزالته وتركت هذا ولو سَنَة، فإن هذا يسبب قبولا، لأن من عوائد النفس أن لا تحبب الانفتاح علىٰ كل ما فيها مرة واحدة، وأنت أنظر إلىٰ نفسك لمن لم يكن مهتديا من قبل ثم اهتدىٰ، وقد قال جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[النساء:٩٤]، هذا ينظر إلىٰ نفسه لو أتىٰ واحد وقال له: انتقل في يوم من الحال التي أنت عليها إلىٰ الحال التي عليها اليوم. لا يمكن أن يتصور ولا يمكن واحد أن يقول هذا الكلام ويقبل منه فورا، ولكن هي مدة من الزمن.

فإذن هناك أشياء يمكن أن تسكت عليها، يمكن أن لا تُغلِظ وجهك فيها، ولا الكلام فيها، ولا تنكرها حتىٰ يأتي زمن يقبلوا منك ذلك، لكن بشرط أن تكون ساعيا في نقلهم إلىٰ شيء أفضل، يعني في إنكار شيء أفضل من هذا الذي يمارسونه، وهذا واقع في البيوت، وكل بيت وله تحليلاته وله أوضاعه الخاصّة.

إذا نظرت من جهة أخرىٰ إلىٰ وضع الرجل في بيته أنه يعطي البيت القليل، ويَرغَب من أهل بيته أن يكونوا كما يريد، هذا لا يمكن فلا بد أن تعطي البيت الكثير سواء أكان والدا، أو كان أخا، لابد أن يعطي بيته كثيرا من وقته، حتىٰ يقبل منه أولئك.. لهم طلبات؛ يريدون في هذا الزمان أن يذهبوا هنا وهناك، رجالا ونساء وأطفالا، مراهقين، شبابا وشابات، يريدون من الرجل أن يبذل لهم، أن يذهب بهم هنا وهناك، إذا لم تبذل لهم؛ النفس لها طبيعة لابد أن تتسلط عليها أفكار وأفكار قد يتولد منها أشياء لا تحبذها أنت.

فإذن من وسائل الدعوة المهمة العملية في البيت أن تبذل من وقتك الكثير وتنقل أهلك إلىٰ ما يحبون، وفي خلال هذه المدة يمكن أن تُمرِّر كثيرا من الأشياء التي أمر الله جل وعلا بها ورسوله ﷺ.

إعطاء البيت وقتا في القعود في نفس البيت، في الجلوس أيضا، في الخروج للصغار والكبار.

أيضا من المهمات في البيت أن تنظر إلىٰ نفسية أهل البيت، وكل واحد تعالج نفسيته بما هو عليه، مثلا –وأنا ربما أركّز علىٰ النساء– البنت في البيت بدأت في العمر الثالثة عشر، الرابعة عشر، الخامسة عشر، هذا السِّن إما أن يتسلط عليها الخير وإما أن يتسلط عليها الشر، لا تظن أن الخير سينغمس فيها بكلمة في خِضَمِّ هذا المجتمع الذي فيه كثير من التأثيرات بالباطل والتي قد توافق نفسية المراهقة، لا بد أن تدخل في نفسياتها، أن تحتاج إلىٰ أشياء تحتاج إلىٰ المدح –مثلا– في زينتها، تحتاج إلىٰ المدح في هيئتها، في كلامها، تحتاج إلىٰ أن تلبَّىٰ طلباتها، تحتاج أن تُنقل من شيء إلىٰ شيء إلىٰ أن تُقنعها بقناعات مع التسليم لها بأشياء، أن تدخل معها في المشاركة في اهتماماتها، هي مهتمة بأشياء وهي عندك لو اهتم بها فلان واطلع عليه الناس لعِيب ذلك، لكن في الواقع لعِلاج ما في البيت لا يعاب ذلك، فأنت اهتم معها باهتماماتها الخاصة؛ الاهتمامات التي تجعل هذه تشعر أنك دخلت معها في نفس الاهتمامات، ثم بعد

مدة يأتي التوجيه شيئا فشيئا، وهذا يجعل هناك صدىٰ وارتباط بين الأخ أو بين الأب في الأسرة وبين هذه الفتاة التي وصلت سن المراهقة.

بعض الآباء في البيوت يكون رجل ديّنا صالحا وفيه خير، لكن حصل في بيته أمور غير محمودة، كان من أسبابها أنه لم يهتم يوما ما لا بالشاب ولا بالشابة، هذا أحد الأسباب؛ ما اهتم بها، ما تكلم معهم في مشاكلهم، ما في داخلهم، كل واحد عنده رغبات، رغباته أحيانا تكون محرمة، رغباته أحيانا تكون بعيدة عن العقل والصواب، لكن لا بد أن تستخرج منها ذلك لأنك إن لم تستخرج منها ذلك، فسيستخرجه الأصدقاء، وسيعنىٰ الأصدقاء بتوجيههم وإذا أتىٰ الأخلاء والأصدقاء بتوجيهاتهم فربما وقع ما لا يحمد.

فإذن من المهم أن تعطي البيت وقتا، وإذا أعطيت البيت وقتا فإنه مجال خصب للدخول معهم في ما تحب، والدعوة كما أنك ترىٰ أنه لا يمكن أن تؤثر علىٰ الآخرين في خارج البيت بدون وقت، كذلك البيت لا يمكن أن تؤثر عليه بدون وقت.

النقطة الثالثة أن تأتي بكل وسيلة من وسائل الخير فتدخلها إلىٰ البيت من شريط مستقيم طيب، ومن كتب خاصة؛ كتب الأذكار، وكتب المواعظ، والكتب النافعة التي فيها علاج المشكلات، والمجلات المأمونة الطيبة التي تعالج بعض الأشياء وتجعلها في البيت، وهم لا شك سيقرؤون، وسيكون هناك نوع تأثر بوضعها، لمجرد الوضع لا الفرض؛ فرض تلك الأشياء.

بالنسبة للعمل: العمل ميدان آخر مختلف تماما عن البيت، معالجة البيوت أسهل من معالجة زملاء العمل؛ لأن هؤلاء قد بلغوا من العمر ما بلغوا؛ لهم قناعاتهم، لهم شخصياتهم، لكن هؤلاء لا شك أنهم درجات يختلفون، هؤلاء لا تنظر إليهم نظرا واحدا، بل كل واحد له وضعه، له تفكيره، له عواطفه التي في داخله، زملاء العمل من أحسن ما يؤثر به عليهم، أن يكون هناك اثنين أو ثلاثة يبتدؤون بوضع شيء من الزيارات الخاصة التي يكون فيها حضور لبعض أهل العلم، يعني يجعل مثلا بينهم مثلا لقاء أسبوعي أو ما يسميه بعض الناس دورية، يكون في ثلاث مرات في الشهر جلسة عامة يتحدثون كما يشاءون، ومرة في الشهر يأتيهم بعض أهل العلم ويتناقشون معه في ساعة من الزمان في أمر من الأمور.[(١)]

هذا النوع من الربط الذي معه عدم فرض الشخصيات علىٰ أولئك؛ لأن منهم من لا يقبل أن يأتي كل مرة، واحد يتحدث له في هذه المجالات يعني المجالات الدينية، لكن إذا كان مرة في الشهرين، مرة في الشهر في أول الأمر، هذا مقبول، هذه وسيلة.

الوسيلة الثانية نشر أشياء في العمل من جهة فتاوىٰ لبعض أهل العلم بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة من نشر أشرطة نافعة يكون فيها الأثر من قضية صحبة خاصة، نفع لبعضهم، توسط لبعضهم، السعي في نفعهم بالأخلاقيات التي ذكرنا؛ يعني أن يكون المرء في عمله -الذي يخاطب الآخرين- يكون رأىٰ منه ذاك أنه يبذل له ما لا يبذله غيره، وهذه وسيلة مهمة؛ لأنها تُدخِل الخير في النفوس ولو بعد زمن.

(١) هنا ينتهي الوجه الأول من الشريط.

كذلك إذا كان هناك مسؤول العمل، وإذا قلنا: مسؤول العمل لا يتصور أنه –مثلا– وظيفة رسمية في أي مجال من مجالات العمل؛ إذا كان مسؤول العمل رجلا جيدا وصالحا، يمكن أن تأخذ لقاءات لكل العاملين، ويؤثر عليهم عن طريقها، يعني أمامك مجالات في جهد فردي في العمل، يمكن أن تبذله ويكون معه أشياء من الخير، ولا يمكن طرق جميع الجوانب، لكن إذا كان هناك من سعىٰ في ذلك يجود بخبرته علىٰ الآخرين، أو إذا رأىٰ المرء أنه سيبدأ في ذلك يشاور إخوانه، ولابد أنه هناك تجارب كثيرة في هذا المجال.

جهة أخرىٰ وهي ميدان الدعوة في القرىٰ: من الناس من يأتي مثلا إلىٰ الرياض أو للمدن، وبعد انتهاء فترة الدراسة، أو يريد أن يرجع إلىٰ بلده في إجازة وظيفية إلىٰ آخره، والقرىٰ وضعُها يختلف عن وضع المدن؛ وضع الناس فيها يختلف عن نفسيات أهل المدن –كما هو معروف– كيف يخاطب أولئك وكيف يسعىٰ فيهم؟ أولئك أقرب في الغالب، أقرب إلىٰ الخير؛ يعني أقرب إلىٰ عدم مجادلة أهل الخير من أهل المدن، لأن أهل المدن ترتبت فيهم أشياء من القناعة في بعض المنكرات، أما أهل القرىٰ لا زالوا يحترمون أهل العلم احتراما طيبا، ويحترمون أهل الصلاح احتراما جيدا، هؤلاء تدخل معهم في نطاقات:

النطاق الأول تنشيط مجال الدعوة في البلد؛ يعني أن يكون لك صلة بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلد، أن يكون لك صلة بمكتب الدعوة في القرية أو في المنطقة، تنشيط الكلمات في المساجد والمحاضرات، الدروس التي تقام في المساجد أو المواعظ التي تقام بعد الصلوات، هذه لها أثر في نفسية أهل القرىٰ قريبا.

كذلك في الدعوات العامة وما يسمىٰ باللقاءات العامة، هذه الحديث يكون فيها دائما يكون متركز علىٰ رغبات الناس، والداعية إذا نظر إلىٰ هذا المجال وجد أن هذه الأحاديث غالبا ما يتكلم فيها الناس مع أول متحدث؛ يعني إذا فتحتَ أنت موضوعا من الموضوعات فإن الحديث سيمرُّ وقتا من الزمن في هذا الموضوع، إذا طرحته بطرح جيد مقبول، يعني إذا تكلمت مثلا عن شيء من أخبار الصحابة رضوان الله عليهم أو أخبار بعض أهل العلم وما هم عليه، أو تحليل لموقف من المواقف أو نحو ذلك، أو حدث من الأحداث فإنه سيتكلم هذا المجلس في هذا الموضوع شيء من الزمن؛ ربع ساعة، ثلث ساعة، بقدر نباهة وانتباه الداعية يمكن أن يطيل ويشقق هذا الموضوع حتىٰ يكون هناك استفادة أكبر من طرح تلك الموضوعات، يعني أن يكون هذا المشارك مهتمًّا في أن تكون الجلسات العامة ليست جلسات كلام وقيل وقال، بل تكون الموضوعات المطروحة فيها مدروسة، وهذا لا بد أن يكون معه كما ذكرنا من قبل دراسة موضوعية لما يكون في تلك البلاد أو القرىٰ من الأمور الإيجابية والسلبية.

مجال رابع من مجالات الدعوة الفردية أيضا هو: **التأثير علىٰ من هم أقل منك**؛ يعني المعلم مع طلابه، كبير الزملاء مع صغار زملائه وهكذا، هذا نوع من التأثير أو نوع من المخالطة موجود، والتأثر به كبير، والتأثير عن هذا الطريق سهل؛ ذلك لأن الصغير في الغالب يرىٰ المعلم، أو الزملاء الصغار يرون الكبير فيهم له محلا من الاحترام ومحلا من التقدير، وهذا يجعل الفرصة سانحة لكي يقول ما عنده، ويؤصل الدعوة الصحيحة بما يحصل لهم به الخير وينتقلون معه إلىٰ الأفضل.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

أكتفي بهذا القدر، وربما ما عندي من النقاط ما يجعل لِي الكلام مستقيما لأخرجها.

[الأسئلة]

فنجيب علىٰ بعض الأسئلة وتعذروني عن القصور وجزاكم الله خيرا.

سؤال (١): يقول: من خلال الحديث عن كيفية الدعوة، هناك مشكلة تواجهني في هذا الجانب وكثير من الناس، وهي كيف أدعو زوجتي إلىٰ الاستقامة إلىٰ الدين، وما أفضل الطرق في ذلك لأني تعبت، ولم أرىٰ تغيرا، أرجو إفادتي وغيري بهذا الموضوع المهم؟

الجواب: التأثير علىٰ الزوجة لا شك أنه من المهمات، كذلك تأثير الزوجة علىٰ زوجها، وإن كان في الغالب تأثير الزوج علىٰ زوجته أكثر قبولا وأكثر واقعيا.

الزوجة إذا كانت محترمة لزوجها فإنَّ عطاء الزوج لزوجته بمقداره يكون القبول؛ عطاء الزوج لزوجته من حيث الكلمة، مَن حيث العمل، من حيث المال، من حيث تلبية الرغبات،.

عندها أشياء مخالفة لا يريدها الزوج، عندها اهتمامات غير محمودة، محرّمة، تفعل أشياء منكرة، تجادل في أشياء لا يجوز لها أن تجادل فيها؛ مثل بعض مسائل الحجاب واللباس ونحو ذلك..

لكن نفسية الزوجة رقيقة؛ المرأة رقيقة بطبيعتها، فالزوج يؤثر علىٰ زوجته أول الدرجات بأن ينطلق لسانه، وكثير من الأزواج -ويعذرني الإخوان- خاصة المستقيمين لسانه ليس رطبا مع زوجته..

وفي هذا الزمن أن ترىٰ المرأة أي الزوجة تسمع -نسأل الله العافية- حديث الرجل مع المرأة في الأجهزة المختلفة في التلفزيون أو في الفيديو أو إلىٰ آخره إذا كانوا يرونه، يسمعون حديثا لم تسمع المرأة أن زوجها يخاطبها به، كذلك تسمع من زميلاتها وصديقاتها زوجها فعل معها كذا أو قال لها كذا أو اهتم بها بهذا النوع من الاهتمام، لاشك أن هذا يولد عندها أشياء في نفسها تجعل هنالك حواجز من قبول لما يقوله الزوج.

ومن المهمات أن يكون لسان الزوج منطلقا مع زوجته، يعني لا يحسن أن يكون الزوج مع زوجته صامتا -بل هذا يعدّ من العيوب- إلا فيما يشتهيه هو؛ إذا اشتهىٰ شيئا تكلم أما الأشياء التي لزوجته لا يتكلم فيها.

كيف يكون القبول إذن؟ الزوجة تحتاج إلىٰ مدح، تحتاج إلىٰ ثناء ولو كان طويلا، لا يعد هذا نقصا في قيمة الرجل، الرجل له شخصيته لا تؤثر فيه هذه الكلمات، له شخصيته المتزنة يحزم مواضع الحزم، ولكن أيضا يكون لسانه طريا في مواقعه.

وكذلك ادعي الإعجاب بالمرأة، المرأة ضعيفة مع الأسف، امرأة وُجِدَت علىٰ أمر ليس بحسن -مثلا مكالمة هاتفية- وهي امرأة مستقيمة في الجملة ليست لهذه الأمور، كان سبب دخول هذا الخبيث إلىٰ قلب هذه المرأة كلمة؛ مدحها بكلمتين، أظن بصوتها أو بطريقة كلامها، فظنت أن هذا صادق فيما يقول، وربما يكون هو كاذب فيما قال، لكن هي صدّقت، وهكذا طبيعة المرأة.

فإذن لابد أن يكون الرجل مُبدِيا لما في المرأة، المرأة تحتاج إلىٰ ذلك، يعني الكلمة مهمّة لسانك لا ينعقد لسانك بالكلام مع زوجتك، بل من المستحسن أن تكون مبديا لإعجابك بالمرأة في لباسها، في

كلامها، في أدائها لمهمّات البيت، في تربيتها للأولاد، ما تعمل، تعمل، تعمل وأنت لا تبدي شيئًا؛ ساكت، فكيف ستقبل؟ لا بد أن يكون منك شيء، وهي بالتالي سيكون منها أشياء هذه نقطة.

النقطة الثانية البذل من جهة المال؛ يعني بعض النساء يكون عندها حاجة لأشياء، تريد أن يكون ملبسها علىٰ نحوٍ ما، أو وضعها في بيتها علىٰ نحوٍ ما، أو وضعها فيما تعمل في البيت علىٰ نحوٍ ما ونحو ذلك.. فيكون الرجل متسلطا في أن لا يأتي بهذه الأشياء، إتيانه بهذه الأشياء، والموافقة علىٰ طلبات المرأة يُسبب لينًا عندها؛ لأنها إذا وجدت أنك تنفِّذ كثيرا أو أنّك تأتي لها بما تبغي تقبل منك، علىٰ الأقل في البداية خشية أن تخسر ما تبذل، هي تفكر تقول هو بذل لي أخشىٰ أن أعانده أو لا أوافقه بعده أخسر بعض الأشياء، فهي توفِّق حتىٰ يكون لها الخير؛ طبيعةً وجِبلّة.

الجهة الثالثة أن المرأة تحتاج إلىٰ أشياء مثل الخروج مثلا من المنزل، ليس النساء علىٰ مرتبة واحدة، بعض النساء ممكن أن تجلس يوم، يومين، ثلاثة، أسبوع ما تخرج، ما عندها إشكال، بعض النساء لا؛ تعوّدت قبل أن تأتي للزوج في وضع في بيتها، قبل أن تأتي إلىٰ هذا الزوج في وضع، مثلا في اشتراء بعض الملابس والأشياء، فإذا أتىٰ الزوج وحملها علىٰ غيره وأراد منها أن تتخلص من أشياء كانت تمارسها في بيت أهلها مثلا، أو نحو ذلك من الأشياء غير المحمودة، فإنها لن تقبل، أو يكون هنالك شيء من عدم القَبول.

فإذن المقصود من ذلك أن يكون هنالك توازن في شخصية الزوج، فبذله للمرأة وتحليله لنفسيتها من كل الجهات ومعالجة تلك النفسية، هذا سبب من أكبر الأسباب في علاجها واهتدائها إن شاء الله.

سؤال (٢): إن لي أخا صغيرا لا يطيع أوامري ويشرب الدخان لأنه مُتيَقِّن أني لن أخبر والدي.

الجواب: الدخان أمر ليس حَلُّه في يوم وليلة، ولكن مع الزمن، وترغيبا في الخير وحضوره الجماعات والصلوات، وكثرة التحديث، وكثرة تلاوة القرآن له، سماع القرآن، يبدأ يستحي علىٰ الأقل في البداية من شرب الدخان، ثم يستتر به، ثم يتركه إن شاء الله تعالىٰ.

سؤال (٣): ذكرتَ في درس الأصول الشرعية في التعامل مع الناس، تعامل المرء مع نفسه ومجاهدتها، وهذا عنصر مهم يعيشه كثير من الشباب وهو ضعف الشخصية أمام الوالدين، والإخوان، والزملاء، بحيث أن الشخص قد يرىٰ المنكر أمامه ولا يستطيع أن يفعل أي شيء خوفا من والده أو أحد آخر، ما هو العلاج لهذا الموضوع؟

الجواب: هذا أمر نفسي؛ يعني يخاف أن يتكلم، يخاف أن يُبدي ما عنده، هذا أمر نفسي علاجه لا بد أن يكون المرء منتبهًا لنفسه.

أولا أن يُجَرِّئ نفسه علىٰ الحق، الحق ما فيه المجاملة، لكن الحق ينبغي أن يؤديه بالطريقة الصحيحة، ليس بطريقة الاستعلاء، بطريقة المحبة والإرشاد والترغيب في بداية الأمر.

أما إذا كنت في بيتك الذي تعوله، وأنت رب ذلك البيت - يعني أنت صاحبه ولك فيه الأمر والنهي- أنت لست معذور علىٰ وجود منكرات فيه، إلا إذا كان هناك ترتيب في بعض المصالح في أشياء معينة من

المنكرات، لكن إذا كان في بيت الوالد أو معك الإخوان -إخوانك أو نحو ذلك في البيت- هذا يحتاج منك أن تكون مرشدا محببا متوددا شيئا فشيئا.

الخوف يكون غالبا في الإنكار، لكن إذا ابتدأت أن تكون داعيا غير منكرٍ يعني مرشدا تُبَيِّن للناس الخير، تحثهم علىٰ الخير، لكن لا تنكر عليهم الشر؛ في البداية ينطلق لسانك، ثم بعد ذلك تبدأ تقول الجهتين؛ ما يرغِّبهم في الخير وما يبعِّدهم عن الشر.

هذه كلها توجيهات، من جهة الواقع العملي، أمَّا لو كانت فتاوىٰ، فلكل واحد حالة تخُصُّه، معلوم أن الفتوىٰ العامة غير الفتوىٰ الخاصة.

سؤال (٤): هل ترون أن تخرج المرأة إلىٰ دُور العلم لحفظ كتاب الله، وقد قلتَ: يجب علىٰ المرأة ألا تخرج إلا قليلا؟

الجواب: أنّ الأصل أن المرأة لا تخرج من بيتها إلا لحاجة ماسّة، هٰذا الأصل من جهة الاستحباب، يعني أن لا تخرج إلا إذا احتاجت لشيء تشتريه، لشيء تحتاجه في بيتها، لأمر ليس لها منه بد ونحو ذلك، هذا الأصل، قد قال جل وعلا: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب:٣٣]، فالقرار في البيوت هذا من خصال المرأة الصالحة في الجملة.

وإذا نظرتَ إلىٰ هذا الزمن وما فيه، فإن قرار المرأة في بيتها قد لا توافق عليه كثير من النساء، وكثير من النساء ربما إذا أكثرت المكث في البيت تولدت عندها أشياء ارتدت علىٰ العلاقة بينها وبين زوجها في البيت بأشياء غير محمودة، فهذه يُخرَج بها بما يحصّل الخير ويجتنب الشر؛ فمثلا إذا كان لها رغبة في حضور مجالس الخير يحضر بها إلىٰ مجالس الخير، إذا كان لها رغبة تُدرِّس القرآن أو تدرُس القرآن يُذهب بها إلىٰ المدرسة والذهاب بها منها، وهكذا.

إذن الأصل في مسألة خروج المرأة أنّ المرأة لا تخرج إلا لمصلحة؛ لمصلحة شرعية، وخروجها للمباحات هذا مختلف فيه بين أهل العلم هل هو مباح أو مكروه؟ والظاهر الكراهة في هذه؛ لأن الأصل عدم الخروج، فإذا كان الخروج ليس لمصلحة؛ يعني ليس فيه تحقيق مستحب ولا واجب، فإنه يكون مكروها، لكن إذا كان سيصاب بهذا الخروج مفاسد أخر وسيحصل منه مصالح فإن خروج المرأة علىٰ ذلك يكون مشروعا.

سؤال (٥): هل إحضار الخادمة حسب طلب الزوجة يكون من حسن العشرة ؟

الجواب: إحضار الخادمة إلىٰ البيت لاشك أنه محفوف بمصالح ومحفوف بمخاطر أيضا، والخادمة كما قال أهل العلم لا يجوز أن تُحضَر إلىٰ البيت إلا إذا كان ثَم حاجة لها؛ مثل أن تكون أشغال البيت كثيرة لا تستطيع المرأة أن تقوم بها من كثرة الأولاد مثلا أو انشغالها بخدمة زوجها، الرجل مثلا مِضياف أو كثير الطلبات منها، أو نحو ذلك من الأسباب، أو امرأة مريضة فإذا كان ثم سبب يجعل إحضار لها خادم فإنه يجوز إحضار الخادمة للمرأة.

وقد قال الفقهاء: أن الرجل يلزمه أن يُحضر للمرأة من يخدمها ويخدمه إذا كان من عادتها ذلك؛ يعني إذا كانت المرأة في بيت أهلها تُخدم، إذا كانت في بيت أهلها معتادة علىٰ أنها لا تقوم بمثل هذه

الأعمال فإنه من المعروف أن يؤتىٰ لها بمثل ما كانت عليه، لأنها إنما تعاشر بالمعروف؛ يعني ما كانت تعرفه هي في بيت أهلها.

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ذكر أنه مما يستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء:١٩]، يعني مما يتعارفه الناس في كل زمان؛ مما يتعارفه الناس في كل زمن تحصل العشرة بالمعروف فليست مقيدة بزمن.

والفقهاء تكلموا هل يجب علىٰ المرأة أن تخدم زوجها؟ ففقهاء الحنابلة رحمهم الله يقولون: لا، المرأة إنما هي معقود عليها للاستمتاع ليس عليها واجبا شرعيا أن تخدم زوجها؛ يعني أن تفعل له كذا، أو أن تطهو له، إلىٰ آخره، أو أن تعمل له بيته، لكن هو أخذها للاستمتاع فهذا حظه منها.

وشيخ الإسلام ابن تيمية اختار، قال: هذا القول مرجوح والصواب أن قوله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء:١٩] يعم كل أنواع المعروف، فإذا كانت المرأة من المعروف عنها في بلد من البلدان إنما تُطلب زوجة للعشرة يعني للاستمتاع وللخدمة أيضا، يعني تكون مع زوجها تطبخ له وتنظف له وتكون معه وترعىٰ الأولاد إلىٰ آخره، فإذا كان هذا من المعروف فهو داخل في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:٢٢٨] فعليها هٰذا؛ لأن هذا من المعروف.

وهذا القول هو المفتىٰ به وهو الصحيح، فتحصَّل من ذلك أنه إذا كان من عادة المرأة أنها تُخدم، أو أنها لا تستطيع أن تقوم بعمل البيت لسبب من الأسباب أو كثرة أولادٍ فإن للزوج أن يأتي لزوجته من يخدمها، هذا من جهة الحكم.

لكن وجود الخادمة في البيت له أضرار كثيرة من جهة الزوج، فعليه إذا حضرت أن يلزمها بالحجاب الشرعي عنه وعن غيره، وأن يبتعد معها عن الخَلوة، وعن الكلام فيما لا يعني، وأن ينتبه من المحاذير التي قد تكون من جهة الخادمة.

سؤال (٦): هل اليهود يصومون يوم عاشوراء إلىٰ يومنا هذا أم لا؟ وهل يهود هذا الزمان مختلفون عن اليهود في وقت الرسول ﷺ؟

الجواب: إن يوم عاشوراء اليوم الذي نجّىٰ فيه الله جل وعلا موسىٰ عليه السلام ومن معه في توقيتهم، كان قبل مجيء توقيت الهجري قبل مجيء محرم وصفر؛ لأن وقت موسىٰ عليه السلام قبل نبينا ﷺ بنحو ألف وزيادة من السنين.

فيوم نجىٰ الله موسىٰ عليه السلام ومن معه كان التوقيت عند بني إسرائيل يختلف عن هذا، يعني التأريخ.

والنبي ﷺ قدم المدينة ووجدهم يصومون ذلك اليوم؛ يصومون يوم عاشوراء، يعني بما يوافق تلك السنة، أو بما شاع عندهم في تلك السنين أنه هو اليوم الذي نجىٰ الله فيه موسىٰ، وموافقة التاريخ للتاريخ لا أعلمه، ولهذا اليهود يصومونه عندهم شكرا إذْ نجىٰ الله جل وعلا موسىٰ من فرعون، لكن لا يعني ذلك أن يوافق العاشر من محرم عندنا؛ لأن التاريخ غير التاريخ، وإنما جاءت المناسبة أنه جُعل العاشر

من محرم؛ لأن النبي ﷺ حين قدم المدينة وجدهم يصومون ذلك اليوم، وكان يوما من تلك السنة يوافق العاشر من محرم هذا الذي يظهر لي، وإلا فإن تاريخ اليهود غير تاريخ المسلمين.

السؤال (٧): يقول: هل الدعوة إلىٰ منهج السلف الصالح والابتعاد عن الحزبيات، مما يدعو إليه كل أحد أو العلماء فقط، وإذا كان ذلك لكل أحد فكيف يكون ذلك؟

الجواب: الدعوة إلىٰ منهج السلف الصالح والابتعاد عن الحزبيات هذا مطلبٌ للجميع، لأن الواقع يدلّ علىٰ أن ضيق العمل الإسلامي وضيق الدعوة إلىٰ الله إنما جاء من جهة الحزبيات.

الحزبيات هذه تجعل المرء يتحرك في دائرة ضيقة، وأنا أذكر زمنا مرت به هذه البلاد من نحو عشرين سنة ما كان الشاب يخالط إلا شابا، ما كان يعرف يدعو أهله بل كان إذا أتاه بعض زملائه يريد أن يجتمع بهم ليقرؤوا في كتاب أو نحو ذلك ربما أغلق الباب، وهذا من الفهم الخاطئ للدعوة، وسببه الحزبيات، الحزبيات فيها إعطاء نفسية من بداخل تلك الجماعات نفسية الانغلاق، طبعا هذا تغيّر في الفترة الأخيرة يعني من نحو عشرة، اثنا عشر سنة، فصار هناك انفتاح علىٰ الناس في ذلك، لكن يبقىٰ أثر الحزبيات في النفوس أنه يبقىٰ المرء منغلقا، يبقىٰ المرء ضيقا، إذا أراد أن يتوجه لشيء وجد ثم من يمنعه لرؤية غيره، وهناك أشياء من الخير كثيرة يمكن أن يسلكها المرء، لكن لأجل وجود تلك الإطارات ربما حُدّ ذلك من نشاطه.

فالدعوة إلىٰ منهج السلف الصالح والابتعاد عن الحزبيات هذه عند العقلاء والمصلحين هذا مطلب عام يشترك فيه الجميع؛ لأننا وجدنا في مسيرة الدعوة في هذه البلاد أنها تسير ولله الحمد إلىٰ وقتنا هذا وفيما نستقبل من الأيام والسنين إن شاء الله، تسير إلىٰ التخلص من الحزبيات شيئا فشيئا، لكن التخلص من الشيء مرة واحدة هذا ليس بالسهل، لكن شيئا فشيئا ستنتهي ويكون الناس جميعا متحابين في جماعة واحدة، كلهم يدعون إلىٰ شيء واحد ويحكمون عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

الناس يختلفون في طرح هذه الموضوعات عليهم، ولهذا من يطرح هذه الموضوعات أحيانا يكون مصيبا، وأحيانا يكون مخطئا، لأن المدعو ما حاله حتىٰ تَطرحَ عليه موضوع جماعات أو حزبيات أو نحو ذلك، ربما لا يكون عنده فكرة أصلا عن الحزب، ليس عنده شيء من ذلك حتىٰ تنقله إلىٰ غيره.

ومن التصور الخاطئ الذي في أذهان بعض الإخوة أن هذه الصحوة -التي تراها- الكبيرة، وهؤلاء الشباب ولله الحمد والشيب والنساء في إقبالهم علىٰ الخير، أنّ الأكثر عنده جماعة أو عنده حزب ونحو ذلك، إما متحزب أو في جماعة أو عنده اجتماع فهذا ليس صحيح، إنما الجماعات أو الاجتماعات في خضم هذا الموج ولله الحمد أو هذا الانتشار العظيم للدين قد لا يمثل عشرين في المائة، لكن هذا التأثر العظيم، هم يتأثرون بمن حولهم، يتأثرون بمن يقول لهم، الجميع مقبل علىٰ الخير ومقبل له، فمن الذي يبلغهم الخير؟ هم مع من يبلغهم، فإن بلغهم بطريقة صحيحة كانوا معه، وإن بلّغهم بطريقة غير صحيحة كانوا معه؛ لأنهم ليس عندهم من العلم ما يميزون به بين الحق والباطل، رأوا شيئا من الفساد، ورأوا شيئا من المخالفات وأنواع من المنكرات التي لا يقرها الدين ولا أهل العلم ولا يقول أحد بجواز وجودها،

فيأتي من يقول لهم: إن هذا منكر ولا يجوز ويثير فيه الغيرة، فيقبل عليه سواء كان في حزب أو جماعة أو لم يكن كذلك.

إذن النظرة إلىٰ وجود الحزبيات أو وجود الجماعات عندنا أو في العالم الإسلامي بعامة ينبغي أن تكون في إطارها الصحيح، وأن لا يُتَصوَّر أنَّ كل شخص يتكلم بكلام قد يشترك فيه مع كلام بعض الجماعات أنه يكون منهم، لا، هذه تأثرات عامة في المجتمع، وأهل الاجتماع والجماعات قليلون جدا.

وهؤلاء كيف تعرفهم؟ كيف تعرف أن هذا من الجماعة الفلانية وينتمي لها؟

لا يمكن أن تجزم علىٰ واحد بعينه إلا بشروط خاصة أن هذا فعلا من الجماعة الفلانية، ومنتمي، إلىٰ آخره، وأكثرها ظنون، ومعلوم أن الشرعيات لا تُبنىٰ علىٰ الظنون، وإنما تبنىٰ علىٰ الحقائق، فمجال الدعوة أن تحذر من هذه الأمور، يعني من الحزبيات ونحو ذلك، أن تحذِّر من هو واقع فيها، وترىٰ عنده بُعْد عن الصواب فيها، عند التعصب لجماعة من الجماعات، عنده غلو، عنده دعوة إلىٰ أن ينتمي الناس إلىٰ هذه الجماعة، ونحو ذلك، دفاعٌ عنها وعن أصولها ومبادئها، هذا هنا يخاطب بنفسه، أمّا تخاطب العامة جميعا بمسألة ربما ما يدري وهو في الحالة هذه، ما يعرف جماعة أو غير جماعة، فيسبب في نفسه شيء في نفسه من الشكوك في الالتزام كما حصل ذلك فعلا.

إذن الكلام علىٰ هذه المسألة لا يقال: الداعية يتكلم فيها بإطلاق، ولا يقال: يتركها بإطلاق، بل يتكلم عنها في حدودها الشرعية.

والكلام في هذه المسائل يحتاج إلىٰ علم وحكمة وبصيرة، والشريعة -كما هو من القواعد- جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وجاءت بدرء المفاسد وتقليلها.

فالكلام في هذه الأمور بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد مطلوب؛ لأن تحقيق المصالح الشرعية أمر متفق عليه، ودرء المفاسد أمر متفق عليه، أمّا أن تحدث مصلحة ويكون معها مفاسد كثيرة فهذه لا تجوز؛ يأتي واحد وتدعوه وهو مقبل علىٰ الخير وتجعل في نفسه الكلام عن فلان وفلان، وفلان أو الجماعة الفلانية والجماعة الفلانية ربما ما تَحَمَّلَ عَقْلَه ذلك فَكَرِهَ الخيرَ كلَّه.

فإذن هذه المسائل لا يُتكلَّم فيها إلا مع من كان واقعا في تلك الاجتماعات أو الجماعات رغبة في إصلاحه وإسداء الخير له بالكلام عام أيضا وخاص.

نرجو أن يكون هناك كلمة في أحد الدروس أو درس من الدروس في علاج هذه المسألة من جوانبها المختلفة.

السؤال (٨): في هذا العصر كثرت وسائل الدعوة إلىٰ الله وفي بعضها شبهة عندي؛ مثل التمثيل والأناشيد فهل هي جائزة أم لا مع أن بعضهم قيّد .....؟

الجواب: جواب هذه المسائل مُورِست في الدعوة التي هي التمثيل والأناشيد ونحو ذلك..

والأناشيد تختلف عن التمثيل، الأناشيد فيما أعلم من كلام علمائنا الذين يُصار إلىٰ كلامهم في الفتوىٰ أنهم علىٰ عدم جوازها؛ لأن الأناشيد أتت عن طريق – يعني في الخارج- الإخوان المسلمين، والإخوان المسلمون كان من أنواع التربية عندهم بالأناشيد، والأناشيد كانت ممارسة في الطرق الصوفية

كنوع من التأثير علىٰ المريدين، فدخلت كوسيلة من الوسائل، وبحكم التجارب أو بحكم نقل الوسائل دخلت هاهنا في هذه البلاد، وموررست في عدد من الأنشطة.

أفتىٰ أهل العلم لما ظهرت هذه الظاهرة لا تجوز، قد قال الإمام أحمد في التغبير الذي أحدثه الصوفية، وهو شبيه بالأناشيد الموجودة حاليا، قال: إنه محدث وبدعة، وإنما يراد منه -هذا كلام الإمام أحمد- الصدّ عن القرآن، وكانوا يسمونه السماع المحمود وهو ليس بسماع محمود بل مذموم. هذا بالنسبة للأناشيد.

أما التمثيل فبحكم ما سمعت من فتاوىٰ المشايخ فإنهم اختلفوا: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من أجازه بشروط -هؤلاء علماؤنا- ومنهم من قال: ممنوع بجميع أنواعه، منهم من أجازه بشروط منها أن لا يشتمل علىٰ كذب ونحو ذلك، ومنهم من أجازه لأن فيه المصلحة.

فالتمثيل من جهة الحكم صار فيه اختلاف، ولكن من جهة العمل الذي ينبغي أن يُجعل الشباب علىٰ -يعني في وسائل الدعوة- أن يأتوا إلىٰ المتفق عليه؛ لأننا في هذا الزمن نحتاج إلىٰ الائتلاف، نحتاج إلىٰ الاجتماع، نحتاج إلىٰ عدم الفرقة، وأن نسعىٰ إلىٰ ذلك ما استطعنا، وإذا كان كذلك فإن استعمال وسائل قد يكون فيها اختلاف مثل التمثيل؛ وهذا يحتج يقول: أفتاني الشيخ فلان، وذاك يقول: أمنع لأنه أفتىٰ الشيخ فلان، فيعود في الحقيقة تضارب بين أقوال المشايخ، نقول: هذا تركه فيه مصلحة شرعية من هذه الجهة.

لأننا إن قلنا: يمنع التمثيل فسيقول القائل أفتىٰ الشيخ الفلاني بجوازه.

وإن قلنا: يجوز سيقول القائل أفتىٰ الشيخ الفلاني بمنعه.

فبقي التمثيل من هذه الجهة علىٰ أنه من المصلحة الشرعية المتحققة أن يُترك درءا للاختلاف ودرءا للافتراق.

مع أن كلامي أنا الذي أكرره في باب التمثيل والأناشيد أنهم جميعا من باب واحد، وأنه لا يجوز جعلها من وسائل الدعوة أصلا؛ لأن في الوسائل الشرعية ما يكفي ويفي ولله الحمد.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد